

يوميات بحار

« للذين يذكرون الأهل والجار ، ويمتطون موج البحار جرياً وراء الرزق »

لوعتهم ، تحرك أيديهم المجاديف ، والأفكار تترى في مخيلاتهم .

الاثنين : ٢٢ سبتمبر .

ذهبت اليوم لمقابلة الربان الذي تعاقدت للسفـرـمعه هذا العام فوجدته ينقد البحارة مقدم سلفتهم ، هذه السلفة التي تنتظرها عائلة البحار لتسوى أمرها ولتصرف منها طيلة غياب عائلها ، ولم تك يوماً لتقضى حاجاتها حتى أوبة العائل . قبضت السلفة وكنت أظن أن الربان سيوفيني حتى أسكنه بخسنى الثمن ونقض عهوده .

الأحد : ٢٨ سبتمبر .

بقلب يعصره الألم وتملأه الشجون وعينين ينهمر منهما الدمع مدراراً ، ودعنتى أمى العجوز . رباه إن قلبي ليكاد يطفئ من بين جوانحي لمنظرها وقد وقفت أمامي لتقبلني قبلة الوداع ، ولم تقو على السلام فقد ماتت الكلمات في شفتيها المحتاجتين ، ولم تستطع حبس دموعها في مآقيها فأنحدرت تبلى وجهها المفضل المكتئب ، ويملاً تعاريجها فتكفكفها منتحبة ، وضمتني إلى صدرها الحنون فأحسست بدقات قلبها السرعة وبللتني بدمعها ولم تدع موضعاً في وجهي إلى وقيلته .

فأنحدرت دمعتان من مقلي لم يكن في طوقى حبسهما .

قالت ولم ينقطع سيل دمعها وما كفت عن البكاء : عدلى يا بني ، إن الزمن لم يترك لي سواك من بعدما التهم

البقية على صفحة ٢٥

الأربعاء ١٧ سبتمبر

رجعت من السفينة اليوم متعباً ، منهوك القوى ، واستلقيت على فراشي ، بعد منتصف الليل أطالب النوم ، وأبغى الراحة .

كانت النسمات تنساب رقيقة منعشة ، والظلام قد لف السكون لعباءته السوداء ، والسكون يبعث في النفس الرهبة . ومن بعيد . . حملت لي النسمات الرقيقة صوتاً شابه الأسي ، وإن أبت كبرياء صاحبه أن تظهرها واضحة ؛ يردد مطلع أرجوزة الوداع :

ودعتمكم بالسلامة يا نضر عيني

وخلافكم ما طبق جفني على عيني

ما كاد الصوت يصل أذني حتى انحدرت دمعتان من عيني لم أستطع حبسهما ، لقد مس هذا الالحن شغاف قلبي ، وأهاج الذكرى في نفسي ، فقد عرفت مثل هذا الموقف أكثر من عشرين مرة ، كنت أترك عتبة الباب تاركاً أمى العجوز تكفكف دموعها ، ولا أكاد أمشي في طريقى نحو الميناء حتى تتنازعني شتى الهواجس خوفاً مما يخفيه المستقبل لي ولتلك العجوز التي سأتركها وحيدة . إن قلبي ليكاد ينفطر حزناً حيناً أذكرها .

لكنها ظـرـوفى التمسـة . ترى كم من هؤلاء الذين ترك الغارب الآن شطر اليابس تعمل في نفسه مثل هذه الإحساسات .

إني لأتصورهم واجين ، يحاولون ما استطاعوا إخفاء

